الوحدة 01: مدخل إلى التصوف

1- ماهية التصوف:

أ- الدلالة اللغوية:

قيل أنّ التصوف مشتق من الصوف. قال به ابن منظور. وهو ما ذهب إليه أيضا كل من ابن تيمية وابن خلدون. وذلك على اعتبار أن الصوف لباس الأنبياء، ولباس الصحابة والتابعين. وأن لبس الصوف يوحي بالتواضع والذل لله. أما الملبوس الناعم فيدعو إلى الترف والرياء. وهذه النِسْبَة توافق لغة النسبة للصوفي؛ حيث يقال لمن لبس الصوف صوفي.[1] ويذكر في هذا المضمار، أنّ الصوفي إذا لبس الصوف، طلب من نفسه حقه، لأن الصوف مركب من الأحرف الثلاثة: الصاد، والواو، والفاء، فيطلب من الصاد العبر والصلابة والصدق والصلاة، ويطلب من الواو الوفاء والوجد، وبالفاء الفرح والفرج. لكن القشيري ينفي هذا، حيث أورد الأخير، قائلا: "فأما قول من قال: إنه من الصوف، ولذا يقال تصوف إذا لبس الصوف كما يقال: تقمص إذا لبس القميص، فذلك وجه. ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف.[2]

- نسبة لصفاء القلوب:

هناك من رأى معناه في اللغة مستقى من صفاء القلوب وانشراح الصدور وضياء القلوب.

- نسبة لصوفة:

وذهب البعض أنّ اللفظ مشتق من "صوفة" وهم قوم في الجاهلية يقال لهم صوفة.، انقطعوا إلى الله عز وجل وقطنوا الكعبة. وكان من تشبه بهم فهم الصوفية. وقيل أن هؤلاء هم المعروفون بصوفة ولد الرجل الذي انقطع في الجاهلية لخدمة بيت الله الحرام؛ وهو الغوث بن مر بن أخي تميم بن مر.

- نسبة إلى الاتصاف:

يعتقد البعض أنّ التصوف نسبة إلى الاتصاف بالصفات الحميدة وترك الصفات الذميمة.

---

[1] بلقاسم فيلالي، محاضرات في التصوف، دروس لطلبة الماستر تاريخ وحضارة المغرب الاوسط، جامعة الامير ع القادر-قسنطينة، 2014/2013، ص 802.

[2] عبد الله بن عبد القادر التليدي، المطرب بمشاهير أولياء المغرب، ص 13-15.

– نسبة إلى الصف:

ممّا قيل أيضا: أنها نسبة إلى الصف، فكأنهم في الصف الأول المقدم في الصلاة والمقدم بين يدي الله بقلوبهم، فالمعنى يمكن أن يكون صحيحا، لكن اللغة لا تقتضي النسبة إلى الصف؛ أي أنّ هذا لا يستقيم لغةً؛ ذلك أنهم بنسبتهم إلى الصف الأول يقال لأحدهم في الأصل: صَفِّيٌّ.

– نسبة إلى الصفوة:

كما قيل أنهم ينسبون إلى الصفوة على اعتبار أنهم صفوة الخلق إلى الله، وأنهم النخبة المصطفاة من عباد الله.

– نسبة إلى سوفيا:

وهناك من ربطه بالفلسفة اليونانية، ومنهم: البيروني أبو الريحان المتوفى سنة 440 للهجرة، الذي نسب التصوف إلى سوفيا. فقيل أنّ التسمية يونانية من "سوفيا"، ومعناها "الحكمة". [3]

في المعاجم اللغوية:

تصوُّف

[مفرد]

مصدر تصوَّفَ ، خِرْقةُ التَّصوُّف : ما يلبسه المريد من يد شيخه الذي يدخل في إرادته ويتوب على يده .

طريقة في السّلوك تعتمد على التقشُّف ومحاسبة النفس، والانصراف عن كلّ ما له علاقة بالجسد والتَّحلِّي بالفضائل؛ تزكية للنَّفس وسعيًا إلى مرتبة الفناء في الله تعالى إيمانًا بالمعرفة المباشرة أو بالحقيقة الرُّوحيّة .، علم التَّصوُّف ...

تصوَّفَ

يتصوَّف، تصوُّفًا، فهو مُتصوِّف، تصوَّف الشَّخصُ: صار صُوفيًّا واتبَّع سُلوكَ الصُّوفيّة وحالاتهم لَبِس الصوف.

---

[3] الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2004م، ص 34.

تصوف

صوف 1-صار «صوفيا»، أي متزهدا متعبدا. 2-تخلق بأخلاق الصوفية.

تصوف

1-متصوف. 2-مذهب ديني أخلاقي فلسفي يقوم على الزهد في الدنيا والانصراف إلى الروح، ويعتمد على التأمل والتعبد والتقشف وما إليها من الرياضات النفسية والروحية للوصول إلى الغاية البعيدة، ألا وهي الاتصال بالذات الإلهية والفناء فيها[4].

تصوف فلَان صَار من الصُّوفِيَّة

التصوف طَرِيقَة سلوكية قوامها التقشف والتحلي بالفضائل لتزكو النَّفس وتسمو الرّوح و (علم التصوف) مَجْمُوعَة المبادئ الَّتِي يعتقدها المتصوفة والآداب الَّتِي يتأدبون بهَا فِي مجتمعاتهم وخلواتهم[5].

ب- الدلالة الاصطلاحية:

- الجنيد البغدادي (297هـ): قال فيه: أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة. وأنّه: عقدة لا صلح فيها.

معروف الكرخي (200هـ): يرى بأن التصوف هو الأخذ بالحقائق، واليأس معا في أيدي الخلائق.

- أبو سليمان الداراني (215هـ): التصوف عنده أن تجري على الصوفي أعمال لا يعلمها إلا الحق، وأن يكون دائما مع الحق، على حال لا يعلمها إلا هو.

- بشر الحافي (227هـ): يقول أن الصوفي هو من صفا قلبه لله.

- ذو النون المصري (245هـ): يقول التصوف: هو إيثار الله على كل شيء.

- أبو تراب النخشبي (245هـ): يقول بالصوفي يصفو كل شيء.

- المحاسبي (ت243هـ): الرعاية لحقوق الله.[6]

---

[4]- معجم الرائد.

[5]- المعجم الوسيط.

[6] ابن خلدون، المقدمة، دار احياء التراث العربي، بيروت، 2006م، ص 467.

– **السقطي (257هـ)**: الصوفي هو الذي لا يطفئ نور معرفته نور ورعه.

– **سهل بن عبد الله الشترى (283هـ)**: من صفا من الكدر.

– **أبو سعيد الخراز (268هـ)**: من صفَّى ربُّه قلبه.

– **عمرو بن عثمان الملكي (291هـ)**: الصوفي هو أن يكون العبد في كل وقت مشغولا بما هو أولى به في الوقت.

– **الجنيد البغدادي (297هـ)**: التصوف على ضوء رؤيته: أن تكون مع الله بلا علاقة، وأن تكون كالأرض يطرح عليها كل قبيح ولا يخرج منها إلا كل مليح.[7]

– **أبو محمد رويم (303هـ)**: التصوف استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريد.

– **أبو بكر الشبلي (334هـ)**: التصوف هو الجلوس مع الله بلا هم.

– **أبو بكر الكلاباذي (ت386هـ)**: في كتابه التعرف لمذهب أهل التصوف، يرى بأن: هو عزوف النفس عن الدنيا.

– **الحسن بن منصور الحلاج (309هـ)**: الصوفي على حسب رؤيته: وحداني الذات، لا يقبله أحد ولا يقبل أحدا.

– **أبو الحسن أحمد بن محمد النوري**: قال فيه: "من سمع السماع وآثر بالأسباب".

– **الهجويري**: يقول أنّ الصوفي هو الفاني عن نفسه، والباقي بالحق قد تحرر من قبضة الطبائع، واتصل بحقيقة الحقائق.

– **ويرى أبو حامد الغزالي (ت561هـ)**: أنّ التصوف متعلق بسلوك الصوفي وممارساته؛ فالمتصوف من يكون الفقر زينته، والصبر حيلته، والرضى مطيته، والتوكل شأنه، والله عزوجل حسبه.

– **علي بن سهل الأصفهاني**: التصوف عنده: التبري عمن دونه والتخلي عمن سواه.

---

[7] بلقاسم فيلالي، التصوف، ص 802.

– أبو عمر الدمشقي: التصوف رؤية الكون بعين النقص، بل غض الطرف عن كل ناقص بمشاهدة من هو منزه من كل نقص.[8]

الجنيد ومصطلح التصوف:[9]

يقول الامام الجنيد رضي الله عنه: "الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول." المريد الصادق غني عن علوم العلماء، يعمل على بيان يرى وجه الحق من وجوه الحق، ويتوقى وجوه الشر من وجوه الشر.

لا تكون عبد الله بالكلية حتى لا تبقي عليك من غير الله بقية.

ما أخذنا التصوف عن القال والقيل، لكن عن الجوع وترك الدنيا، وقطع المألوفات ، والمستحسنات؛ لأن التصوف هو صفاء المعاملة مع الله ، وأصله العزوف عن الدنيا ، كما قال حارثة : عزفت نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري .

لو أقبل صادق على الله ألف ألف سنة ، ثم أعرض عنه لحظة كان ما فاته أكثر مما ناله"

-علمنا -يعني التصوف- مشبك بحديث رسول الله .

إن كنت تأمله فلا تأمنه .

-قال جعفر وقال أبو العباس بن مسروق مررت مع الجنيد في بعض دروب بغداد وإذا مغن يغني :

منازل كنت تهواها وتألفها... أيام أنت على الأيام منصور

فبكى الجنيد بكاء شديدا ثم قال يا أبا العباس ما أطيب منازل الألفة والأنس وأوحش مقامات المخالفات لا أزال أحن إلى بدو إرادتي وجدة سعيي.

لو أن العلم الذي أتكلم به من عندي لفني ولكنه من حق بدا ، وإلى الحق يعود ، وربما وقع في قلبي أن زعيم القوم أرذلهم . " العبادة على العارفين أحسن من التيجان على رءوس الملوك . "

---

[8] التليدي، المطرب بمشاهير اولياء المغرب، ص 14.

[9]- أبو القاسم الجنيد، رسائل الجنيد، تح: علي عبد القادر، منشورات برعي وجداي، القاهرة، 1988م، ص 65.

كنت أقول (الجنيد) للحارث كثيرا : عزلتي وأنسي وتخرجني إلى وحشة رؤية الناس والطرقات ؟ فيقول لي : كم تقول أنسي وعزلتي ؟ لو أن نصف الخلق تقربوا مني ما وجدت بهم أنسا ، ولو أن النصف الآخر نأوا عني ما استوحشت لبعدهم.

سأل الجنيد رضي الله عنه : ما تقول أكرمك الله في الذكر الخفي ؟ ما هو الذي لا تعلمه الحفظة ؟ ومن أين زاد عمل السر على عمل العلانية سبعين ضعفا ؟ فأجابه فقال : " وفقنا الله وإياكم لأرشد الأمور وأقربها إليه ، واستعملنا وإياكم بأرضى الأمور ، وأحبها إليه ، وختم لنا ولكم بخير ، فأما الذكر الذي يستأثر الله بعلمه دون غيره فهو ما اعتقدته القلوب وطويت عليه الضمائر مما لا تحرك به الألسنة والجوارح وهو مثل الهيبة لله والتعظيم لله والإجلال لله واعتقاد الخوف من الله وذلك كله فيما بين العبد وربه لا يعلمه إلا من يعلم الغيب ، والدليل على ذلك قوله عز وجل :"يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون" ، وأشباه ذلك وهذه أشياء امتدح الله بها فهي له وحده جل ثناؤه ، وأما ما تعلمه الحفظة فما وكلت به وهو قوله : " ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد " ، وقوله" كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون" فهذا الذي وكل به الملائكة الحافظون ما لفظ به وبدا من لسانه ، وما يعلنون ويفعلون هو ما ظهر به السعي ، وما أضمرته القلوب مما لم يظهر على الجوارح وما تعتقده القلوب فذلك يعلمه جل ثناؤه ، وكل أعمال القلوب ما عقد لا يجاوز الضمير فهو مثل ذلك والله أعلم[10].

الامام أبو حامد الغزالي ومصطلح التصوف:

يعتبر الإمام الغزالي من أبرز الشخصيات الروحية في تاريخ الأمة الإسلامية ومن أبرز الشخصيات الإسلامية انتشارا في معلومات القدامى والمتأخرين .وهذا راجع إلى فكره الموسوعي، والمهام الكثيرة التي مارسها وما صحبها من هموم وأعباء ومشاق. فكان رجل سياسة وفقيها ومتكلما وفيلسوفا ومتصوفا. بعد أزمة نفسية حادة وشك في كل ما حوله، بحث الإمام الغزالي عن اليقين. فأوصله تفكيره الروحي وإيمانه القوى بالله إلى التصوف . والتصوف عند الإمام ليس حالة عرضية اعترته في

[10]- نوال فلاتة، الجنيد بن محمد وآراؤه العقدية والصوفية، رسالة ماجستير، السعودية، 1429هـ.
https://elibrary.mediu.edu.my/books/MAL03006.pdf.

حالة ضعف وعجز، بل هو نزعة عميقة تعود جذورها إلى نشأته الأولى. حيث ولد في أحضان أب صوفي، وتربى على يد مرب صوفي، وتتلمذ على يد شيخ صوفي وصاحب طريقة صوفية . لقد كان الإمام الغزالي واحدا من طائفة الصوفية الذين ظهروا بعد أن امتزجت العقيدة الصوفية بأفكار أفلاطونية ورواقية وهندية وفارسية ووثنية متناقضة مع الأصول الإسلامية. فحاولوا أن يتقيدوا بالشريعة ويخلصوا العقيدة الصوفية مما علق بها من شوائب . لاسيما فكرتي الحلول والاتحاد. وبما أن الإمام الغزالي كان سني المذهب، أشعري العقيدة، فلقد اصطبغ تصوفه بهذا المنهج. فكان بذلك مؤسس لدعائم التصوف في المحيط السني. كما كان للإمام نظرته الخاصة للتصوف التي تختلف عن غيره من المتصوفة.[11]

ت– ماهية الصوفي:

الصوفي: هو العارف بالله، المتحقق بمقامات اليقين، المتخلي عن الرذائل، المتحلي بالفضائل.

2– المبادئ النظرية والعلمية للتصوف:

2–1– الأصول النظرية:

جاء في كتاب أنس الفقير لابن قنفد القسنطيني نقلا عن سهل بن عبد الله التستري (ت. 283هـ/896م) بأن أصول التصوف النظرية سبعة، وهي:[12]

–التمسك بكتاب الله تعالى: فمن لم يكن حافظا للقرآن لا يقتدى به، وكذلك حفظ الحديث النبوي. يقول الامام الجنيد (ت.297هـ/909م) طريقتنا مقيدة بالكتاب والسنة، فمن لم يحفظ القرآن...لا يقتدى به.

–الاقتداء بالسنة النبوية: من لم يكتب السنة ولم يتفقه لا يقتدى به. ويرى الشاذلي (ت.656هـ/1258م) بأنه من دعا الى الله تعالى بغير ما دعا به رسول الله (ص) فهو دَعِي.

---

[11]– زهراء عاشور، التصوف عند الامام الغزالي، مجلة الحقيقة، العدد 02، المجلد 07، 2008م، ص 55–68. المقال على البوابة Asjp: https://www.asjp.cerist.dz/en/article/71578

[12]– ابن قنفد القسنطيني، انس الفقير وعز الحقير، ص 24.

–أكل الحلال: بالبعد عن الحرام أو ما به شبهة، وأن يدع من المال عند التوبة بالتصدق والخروج من جميع من عنده ما به شبهة، وهو ما فعله أبو يحي بن فاخر العبدري (ت.559/1163م) عند توبته بأنه خرج من جميع ما كان عنده وأمر أهله بذلك وتصدق به.[13]

– **التوبة**: وهي مرحلة مهمة للزوم طريق التصوف، وهو العودة عما كان عليه في حياته، من الامثلة ما ذكرنا سلفا، ومنهم أيضا نموذج أبي عبد الله الأزكاني الذي كان في حياته مغنيا في الأعراس والاحتفالات، فلما جلس إلى أبي اسحاق الميورقي بفاس تأثر بوعظه وكلامه، فتاب عما كان عليه، ورجع الى رباط شاكر طالبا الصالحين. ولا تعني التوبة الحالات الفردية، فهناك توبة جماعية كما هو حال الازكاني الذي تاب على يديه الكثير من الرجال، ومروا إلى الحج، وبهذا لحق به من كل مكان وكثروا. وللتوبة شروط ذكر منها التليدي في كتابه المطرب بمشاهير أولياء المغرب: حلق الرأس، الطهارة، صلاة ركعتين، الخلوة عن الناس مدة أربعين يوم، الصيام، قراءة القرآن والحديث، والتكفف عن أكل الطعام، وما إلى ذلك.[14]

– **أداء الحقوق**: إلى اصحابها والتجرد من مظالم الناس بردها، من الامثلة في ذلك ما اورده ابن الزيات في كتاب التشوف عن التسولي والبياني انه كان من من العمال ثم تاب الى الله تعالى فرد المظالم الى اهلها ثم مر من ناس الى جزولة، ثم عاد الى بلده فحفر كهفا واعتكف فيه ثلاثة اعوام يقضي الصوات الفائتة.[15]

–كف الأذى

–اجتناب المعاصي

**وأضاف على السبع أبي مدين شعيب خمس أصول أخرى فصارت 12 أصلا:

---

[13]– المصدر نفسه، ص 25.

[14]– محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، ص 205–206.

[15]– ابن قنفد، انس الفقير، ص 24.

-حفظ الاسرار - محبة الفقراء – اجتناب السفهاء – امتثال أوامر القهار – اتباع سنة النبي المختار.[16]

2-2- الأصول العلمية:

- الفقر؛
- الزهد والتقشف؛
- مجاهدة النفس؛
- التجرد من الدنيا ومتاعها؛
- الخلوة والانقطاع؛
- التفرغ للعبادة؛[17]
- لبس المرقع؛
- السماع والانشاد؛
- اتخاذ الشيخ.[18]

---

[16]- ابن الزيات، التشوف، ص 366؛ ابن فنفد، انس الفقير، ص 26.

[17]- التميمي الفاسي، المستفاد، ج2، ص 28؛ ابن الزيات، التشوف، ص 213-222؛ الهروي التادلي، المعزى، ص 15.

[18]- ابراهيم حركات، مدخل الى تاريخ العلوم، ج3، ص 5؛ الكتاني، سلوة الانفاس، ج3، ص 216؛ التليدي، المطرب، ص 109.